

أي باختصار نجد « الفلاح الفاهم » يستعد لاستقبال أحداث ليس هو صانعها ، وإنما هو المستفيد منها .. وعندما تقع ، عندما يسقط المطر لا يكون ذلك مفاجأة له . ولا سببا في ارتبائه ..

واقعنا أيضا مليء بالأمثلة .

لا بد وأن يؤدي تصاعد عمليات الثوار الى تصعيد عمليات العدو لمواجهةها ، والى أن يلجأ العدو أيضا الى توسيع رقعة ضرباته بحيث يحاول الوصول الى منابعنا أي الى جماهيرنا ليرعبها . لذا فإن هذا التوقع يحتم الاستمرار في عمليات التحصين وبناء الملاجئ ، وتدريب القادرين على القتال على الدفاع عن المخيمات والاحياء ..

كما ان مستقبل الصدام مع العدو الصهيوني يحمل في طياته حتما توسيع رقعة الصدام معه أرضا او جماهير او الاثنين معا .. هكذا تؤكد دراستنا لطبيعة العدو العدوانية التوسعية ، وأيضا احتمية تصاعد النضال القومي العربي ضده .. ان ادراك هذه الحقيقة لا يجعلنا نستعد للملاقاة العدو في خارج الارض المحتلة حاليا فحسب ، وإنما أيضا توجب على قوى الثورة المنظمة أن تبني جسورها النضالية فيما بينها مشكلة جبهة مقاتلة جماهيرية واحدة ضده (١) . ان ادراك هذه الضرورة في وقت مبكر والعمل على بناء التنظيمات التي تحققتها وتجسدها بشكل جماهيري وفعال كان من الممكن أن يستفيد بشكل كبير من الموقف الجماهيري العربي العام الذي رحب بالحرب ورفض وقف اطلاق النار ثم لم يجد من يعبر عنه بالإرادة المنظمة .

والتناقض بين حرب الشعب وبين « حرب النظم » ، وان يكون داخل « مسار » واحد للحركة القومية التاريخية الا أن ذلك لم يمنع ولن يمنع من الصدمات المتوالية بين « النظم » وبين « الحركات المنظمة جماهريا » . ذلك ما ينبىء به اتجاه الحركة التاريخية وما يوجب على الثوار أن يحرصوا باستمرار على « حريتهم » في التحرك وعدم الوقوع في شرك « الترويض » الرسمية الحكومية ، او الإنكشاف أمنياً لاجهزة النظم المختلفة مع ضرورة الاحتفاظ على الدوام باحتياطي معد سلفا للاستمرار بالقتال ضد العدو الصهيوني حتى في حالات تنجح فيها النظم في تقييد حرية ما « تراه » من التنظيم او تكثفه أو تتعاون معه في مرحلة ما أو تسمح له بالنشاط رغما عنها .

الأمثلة عديدة كما قلنا . ويكفي أن يستعرض المرء الاحداث التي فاجأتنا ، والفرص التي أفلتت من أيدينا ، ليتضح له الفرق بين أن يكون « الممارس » واعيا بمسار الحركة التاريخية ، وبين أن يواجه الحدث برد الفعل وهو مفاجأ ... *.

وقبل أن نصل الى تحديد موقع « الحرب الرابعة » على مسار الحرب القومية العربية التاريخية سنحاول أن نرسم مسار هذه الحرب انطلاقا من فلسطين ، باعتبارها كما ذكرنا من قبل ساحة الصدام العربية الرئيسية مع كافة أشكال القهر الاستعماري .

فلسطين ، والإبعاد الثلاثة :

تنقسم الحركة التاريخية الى مراحل تاريخية ، تتوالى ، كل منها أرقى من سابقتها وتحمل بقاياتها ، وتولد من داخلها التي تليها . وتستمد كل مرحلة طابعها من النقيض الرجعي المسيطر والذي تصارع ضده القوى الموضوعية الناهضة ، صاحبة الحق

* تعتبر تجربة « الاشبال » في الثورة الفلسطينية مثلا رائعا للاستعداد النضالي والسياسي في مجرى الحرب الشعبية طويلة الامد . فضلا عن كونها تذكر دوما بطول الطريق فانها تعد ومنذ وقت مبكر اجيالا من الثوار يتولون المسؤولية في الوقت الملائم .